Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 12:2-3-4 (1977)

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحيه

اسمى الشعب الباكستانى عام ١٩٧٧ م عام محمد اقبال بمناسبة مرور مائة عام على ميلاده، و قد وضعت الحكومة الباكستانية برنامجا للاحتفال بذكراه المئوية، بما يلائم مكانته العلمية، اعترافا بخدماته الجليلة التى قام بها لانشاء باكستان، و ايقاظ المسلمين فى شبه القارة الباكستانية الهندية، و تفسير القرآن والاسلام فى ادبه تفسيرا أقنع العلماء الباحثين من العرب والعجم، ودعمه الحق والعدل للانسانية جمعاء. و يتشرف المجمع باصدار عدد خاص لمجلته ''الدراسات الاسلامية،، مساهمة منه فى الاحتفال.

كان الاستعمار مستوليا على البلاد، حيث سادها نظام تعليم و تربية المستهدف للاستعباد، وانقسم رجال الدين الى فرق ثلاث : منهم من اقتصر على القديم، ليس لديه رأى سوى تقليد القداسى واستنكار التغير، و رفض كل جديد. و منهم من يئس من اصلاح الأمة المسلمة، واستسلم للظروف الطارئة، و التمس المبررات لكل ما ينفذ الاستعمار من قوانين و تعديلات . و منهم من افاق من سباته وبدأ يتفكر فى الاوضاع الراهنة، و شغلته عيوبه عن عيوب الناس، فعرف داءه، ودعا المسلمين الى حب الحقيقة و طرح الغفلة، و حضهم على الرجوع الى الدين و القرآن، ورغبهم فى تحصيل العلوم الحديثة المفيدة، ومن هذه الفرقة الاخيرة كان محمد اقبال

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

الفيلسوف الاسلامى، الشاعر الثائر، الباحث المصيب، المصلح الدينى، والناقد العادل .

لقد اشتهر محمد اقبال بفلسفته ''الذاتية،، وقال الناس كثيرا فى هذه الفلسفة، منهم مخطئ و مصيب، واتهمه بعضهم باستيراد الافكار و تقليد فلاسفة الغرب. وهو بنفسه يؤمن باخذ الحكمة اينما كانت، ولكن الحكمة التى تثبت على محك القرآن و يقرها الفرقان . حقا انه كان واسع الاطلاع على علوم الشرق و الغرب، غير انه لم يقبل مما كتبه المفكرون القداسى والمحدثون، الا بعد ما غربله بغربال القرآن، ومن يرد الشواهد على ذلك فليقرأ كتابه ''تجديد التفكير الدينى فى الاسلام،، يجد فيه انه يعطى كل موضوع من الدراسة حقه، ولا يحكم فى امر الا بعد ما يطلع على جميع ما كتب حوله الى عصره . ومما لاشك فيه ان هذا الكتاب مرجع هام لفهم فلسفته، غير ان له دواوين و مؤلفات اخرى و مجاميع مكاتيبه . ثم انه اخضع شعره كله لبيان آرائه و شرح فلسفته، فعلى الباحث ان لا يحكم فى فلسفته حكما باتا الا بعد استيعاب جميع افكاره نثرا و شعرا، ولسنا ممن يعد الشخصيات وراء النقد، غير ان النقد له مبادئ و قواعد .

كان اقبال حلقة اتصال بين القديم النافع والجديد المفيد، وما كان احوج الامة الاسلامية الى مثله فى عصره، فانبت الله فكره وفلسفته نباتا حسنا، و حببهما الى مفكرى العالم كله، فضلا عن مفكرى العالم الاسلامى، لان اقبال لم يعرض فى‌فلسفته الا تفسير القرآن الحكيم بمقتضى تطور العلوم الحديثة، و باللغة والاسلوب اللذين يستخدمهما الباحث العصرى، و من أدلة قبول ادبه عند الناس انه ترجم الى معظم اللغات الراقية، ولا يزال عمل الترجمة مستمر .

وهنا نريد ان نلفت انظار القراء الى تراجم وادب اقبال، وان نقول لهم بالصراحة ان التراجم وان قام بها العالم الشاعر المخلص، و بذل لها كل جهده، لا تقوم مقام الاصل، و لسنا نريد الغضاضة من قدر المترجمين، ولا نقول هذا الا بعد مقارنة بعض التراجم، و كثيرا ما تتغير المعانى عند ما يترجم الشعر الى الشعر، و قلما نجد فى ترجمة شعر اقبال المنظومة ذلك البهاء والنضرة والطراوة، لفظا و معنى ، التى نجدها فى اصله، وان لم يقصر الناظم فى بذل قصارى جهده لتحسين نظمه و ترجمته . اما الترجمة النثرية فهى اكثر احتواء على المعنى، واوضح بيانا للمفهوم، ونحن نؤيد الاقتراح الذى يقول بتكرار التراجم، و محاولة ترجمة دواوينه من قبل عدة شعراء و كتاب. وقد سبق لنا ان كتبنا مرة ان الترجمة اصعب من التأليف الاصلى، و ذلك لما فى الترجمة من مشاكل ثلاث :

(١) اجادة اللغتين : التى ترجم عنها والتى ترجم اليها .

(٢) القدرة على الموضوع و معرفته معرفة اتقان .

(٣) التغلغل فى ذهن المؤلف ومسايرة اتجاهاته .

و قلما يتغلب احد على هذه المشاكل الثلاث .

كان محمد اقبال من اكبر دعاة الوحدة الاسلامية، و كان متأثرا بجمال الدين الافغانى فى هذه الدعوة و حيث ان الامة الاسلامية، خير امة اخرجت للناس، كان يرى هذه الدعوة خطوة اولى الى وحدة البشرية، فاقبال عندما يدعو الى القرآن او الاسلام لا يريد ايقاظ المسلمين فحسب، أو أن يرى الامة المسلمة منعزلة عن سائر الناس، وانما كان يريد تشكيل أمة تؤمن بوحدة البشرية و مصلحة الانسانية و خدمة الناس اجمعين، بازالة فوارق اللون والنسب، والغاء امتيازات الجنسيات واللغات والمذاهب ليكون الناس اخوانا .

كان اقبال على مكان رفيع من العلوم القديمة والحديثة، و قد عاشر الاوربيين ورأى بنفسه الثقافة الاوروبية، و فسر فى كتبه القرآن والمسائل الدينية بمقتضى تطور العلوم فى عصره، و بادر بفتح باب البحث والنقد والاجتهاد فى شبه القارة الباكستانية الهندية بعد ما كان مغلقا، وملأ الفجوة التى حدثت بين المفكرين القدامى و بين المفكرين المحدثين، ووضع امام الجيل الجديد برنامجا لاصلاح افكارهم، و منهجا يؤدى بهم الى فهم القرآن .

كان اقبال معلم القرآن فى العصر الحديث، و كان جل همه أن يؤدى بالناس الى كتاب الله الذى لاتنتهى عجائبه، كما قال :

مسلما أن تسرد حياة فهيا
ما بغير القرآن تؤ تى الحياة

ان اقبالا، لا جل ماوهبه الله من العلم النافع ' و الفكر الصائب ، لجدير بأن يستفيد من ادبه الجيل الجديد، لان ادبه تفسير القرآن و ترجمان الاسلام، ولم يساو احد من فلاسفة المسلمين و مفكريهم اقبالا فى عرضه الاسلام و تعليماته باسلوب علمى حديث، ولم يلاق احد قبولا من الجيل الجديد والمتدينين المحافظين على السواء، كما لاقى محمد اقبال . ولا اغالى عندما اقول انه لا بد للجيل الجديد اذا اراد الوصول الى القرآن، وان يعبر الجسر الذى بينه و بين المفكرين القدامى، من ان يطلع على ادبه ، و تحقيقا لهذا الغرض نقترح على الجامعات ان تقرر فى مناهجها التدريسية نصيبا مفروضا من ادب اقبال .

كان اقبال ينوى ان ينشئ فى شبه القارة الباكستانية الهندية مركزا للبحوث الاسلامية ، لاعداد علماء مطلعين على المشاكل المعاصرة من ناحية ، و من ناحية

أخرى يكون لديهم الاطلاع الواسع على العلوم الاسلامية، ينظرون بنور الله، و بذلك يكونون قادرين على حل مشاكلهم، على ضوء تعاليم الاسلام. و كان يتهم اوربا بانها لا تنظر بنور الله . واستنجد لتحقيق هذا الغرض شيخ الازهر اذ ذاك، فى خطاب له، ان يساعده بالاستاذ الباحث الكامل الصالح، المتضلع من علوم القرآن كما يكون مطلعا على المسائل الحاضرة، والنهضات العصرية، حتى يساعد المركز فى تجديد التفكير الدينى، و فى فهم مسائل الفلسفة والكلام والاقتصاد والسياسة . و نستنتج من هذا الخطاب ان اقبالا كان يريد ان يرى علماء الدين متضلعين من علوم القرآن و الحديث ومن العلوم الحديثة فى وقت واحد ، خبراء باحوال عصرهم، واطباء للادواء المعاصرة، حتى يكون من هؤلاء العلماء، الرؤساء والوزاراء والسفراء والمدراء والأساتذه والكتاب، والفقهاء و علماءالدين وممثلو المجالس الوطنية، والمستشارون والاداريون . ونحن عندما نكتب هذه الاسطر لانرى مثل هذا المركز فى العالم الاسلامى، وما احوجنا اليه ! !

و بهذه المناسبة عند ما نحتفل بذكرى اقبال المئوية نهيب بالجامعات الدينية ، ان تتفكر فى هذا الاقتراح ، وان تغير ما بأنفسها، وان تتخذ الاجراءات اللازمة بتعديل المناهج التعليمية والمواد التدريسية، لتحقيق امنية هذا المفكر العظيم، الذى كان يرى الرقى العلمى والتقدم السياسى متلازمين، لا ينفصل احدهما عن الآخر، و كان يستغرب عند ما يرى رجل الدين لاعلاقه له بالمسائل العصرية، ولارغبة لديه فى حل مشاكل المجتمع المتطور .

كان اقبال الداعداء الاستغلال، سواء أكان على المستوى الفردى ام على المستوى الجماعى أو الدينى أو الدولى، كان يستنكر عندما يرى الرأسمالى ياكل ثمرة مجهودات العمال ، او الشعب الراقى يهضم ما ينتجه الشعب المختلف، او

يجبر الانسان اخاه على ان يسجد أمامه، او أن يعبد الأحبار والرهبان من دون الله، فياكلوا أموال الناس بالباطل و يصدوا عن سبيل الله .

كان اقبال ممن يحب العرب، لان الله اختارهم لتبليغ رسالته، وجعلهم رواد طريق الدين، و كان يقدر اللغة العربية غاية التقدير، لأن لها ميزة الابانة، التى هى غاية اللغة، ولاجلها انتقيت لتعليمات اللهية، كما قال عنها حافظ ابراهيم :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية وما ضقت عن آى به و عظات

وقد تنبأ اقبال فى خطاب له ان اللغة العربية هى الوحيدة بين اللغات السامية التى لها مستقبل زاهر، والتى كتب لها الخلود . وكان يحب شعر العرب لما يجد فيه ضالته المنشودة أى الحركة والحرارة. وكان يتمنى ان يترجم ادبه الى اللغة العربية ، و قد حقق الله امنيته. و سيأتى يوم بفضل المترجمين ان ينال فيه شعر اقبال مكانه الحقيقى فى قلوب الطبقة المثقفة . واخيرا نصرح مرة اخرى بانه يجب علينا ان نتفكر ونتقدم . واذا كنا فى حاجة الى مساعد يوصلنا الى الغاية، فاننا نرى اقبالا كمصباح الطريق، الذى يؤدى بنا الى غايتنا، فاقبال ليس غاية، وانما غايتنا القرآن الذى يدعو الناس الى ما فيه حياتهم .

عبدالرحمن الطاهر السورتى